من يعيد الي رجالي الثانه ، ويأخذ ثمالة دموعي وبقية ايامي .. وبعد .. لعلكم تتساءلون بعد هذا التفجع والتوجع ، ماذا تراني اريد ان اقول .. لقد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين .. » ٢٩٦ صفحة على هذا النمط ! ترى هل فكر المؤلف وهو سفير الاردن الى بلاط سانت جيمس ، كيف ستبدو تعابيره هذه بالانكليزية فيما لو قرر مترجم مفرض ان ينقلها الى تلك اللغة ؟ ان تأليف الكتب هو قبل كل شيء ، عملية حب ، حب للغة التي سيكتب بها المؤلف . كما انه يتطلب ادراكا كاملا لحقيقة بديهية ، الا وهي ان الاسلوب الذي سيكتب به الكتاب يجب ان يكون اسلوب العصر . فهل وعى السيد جمعه هذه الحقيقة البسيطة ؟ ان من بين مآسي حرب حزيران انها جعلت البعض من العرب يرتد في تفكيره الى الوراء ، الى الازمان الماضية ، وكأن القرن العشرين هو الذي غدر بالعرب ، اذن لا مناص من العودة الى عصور الامجاد والفتوحات ، حتى لو كانت العودة خيالية . واعتناق هذا النمط من التفكير العتيق يتطلب ايجاد القالب المناسب له كي يستوعبه ، ومما لا شك فيه ان السيد جمعه وجد الاناء الصالح ، فجاء اسلوبه صنوا لافكاره .

الفكرة الاساسية في الكتاب هي ابتعاد العرب عن دينهم الاسلام ، فهذا برأي المؤلف هو السبب الرئيسي لهزيمة حزيران ولتمزق المجتمع العربي الذي ما زال قائما . الا ان المؤلف لا يختار ان يكون محلل الهزيمة ، بقدر ما يفضل ان يكون ندابتها . ولذا فان قراءة كتابه لا تختلف عن مشاهدة فيلم يلعب به يوسف وهبي وامينة رزق دوري البطولة ، مع الاشارة طبعا الى ان هذين الممثلين العبقريين لم يعودا يبكيان الامة العربية . كل الكتاب نواح وتباك على اطلال حزيران . ومع ان المؤلف يمقت المهاترة ، كما لا يمل من اخبار القارىء ، الا انه في الوقت نفسه يستعمل بسخاء عبارات يعاقب عليها القانون ، عندما يصف اولئك الذين يتهمهم بالمسؤولية عن الهزيمة لانهم جروا الامة الى مهاوي الكفر والزندقة . ومن هؤلاء الدكتور نديم البيطار ، فهو « وغد وفاجر » برأي المؤلف ، اما الدكتور صادق جلال العظم ، فهو مجرد « غبي » . والكتاب يزخر بتعابير مثل : « قطع الله السنتهم — ابصق في وجوههم — سفيه — الخ .. » ومع ذلك ، فالمؤلف يهاجم المذيع احمد سعيد لانه كان يسف في تهجماته . وبالرغم من ان « مجتمع الكراهية » هو كتاب سياسي ، الا ان القارىء سيبحث عبثا عن المراجع والمصادر للوقائع التي اوردها المؤلف . وعندما يستشهد بمصدر فعلا ، فهذا المصدر قد ثبت زيفه ، كما حدث عندما استشهد السيد جمعه بعبارات قال انها وردت في وصية المشير عبد الحكيم عامر ، متجاهلا بذلك حقيقة يعلمها الجميع ، الا وهي ان الاستخبارات المركزية الامريكية زورت هذه الوصية كي تتهم الرئيس الراحل عبد الناصر بقتل نائبه . ومن النماذج على التفكير السياسي للمؤلف اتهامه رئيس تحرير الاهرام محمد حسنين هيكل بافشاء سر الاستراتيجية المصرية على صفحات جريدته قبل ايام من حرب حزيران . كيف ؟ كان هيكل قد اعلن بان استراتيجية بلاده تستهدف جر اسرائيل الى حرب استنزاف طويلة الامد في رمال سيناء ، فما كاد الاسرائيليون يطلعون على هذا المقال حتى قلبوا الخطة الاسرائيلية رأسا على عقب وجعلوها حربا صاعقة خاطفة . نعم ، هكذا وبكل بساطة ، على حد رأي السيد جمعه ! وينعي المؤلف على العرب تأخرهم في المجال الاعلامي . وهنا يسرد التساؤل : ماذا انجز هو على هذا الصعيد عندما كان رئيسا للوزراء في الاردن ؟ انه يكرس عدة صفحات لمقال كان قد كتبه بريطاني في مجلة البي.بي.سي. يفضح به تحيز الصحافة البريطانية ضد العرب ، الا ان الذي لا يذكره السيد جمعه هو ان هذا المقال اثار جدلا مستعرا على صورة رسائل من القراء ظلت سبعة اعداد متتالية من المجلة تنشرها ، فلماذا لم تكن بينها رسالة من السفير الاردني في لندن الذي هو السيد جمعه المتباكي على تخلفنا في الدعاية للقضية ؟

لم يكتف السيد جمعه بان كان احد الذين قادوا العرب الى الهزيمة النكراء ، بل انه بات يؤلف الكتب ايضا (هذا هو كتابه الثاني) ليعزف فيها على نغمة الدين المتروك ، وهي النغمة التي ما فتئت ان كانت الحجة للجلاوزة ووعاظ السلاطين . اننا قد نغفر له ذلك ، اما افساده اللغة العربية وجعلها لغة البكاء والنواح بعد ان كادت تتخطى هذه المرحلة التعسة في نهضتها الجديدة ، فلا .

ف. م.